الفصل الأول

محددات وتصنيفات السلوك الجانح

1- محددات السلوك الجانح

1-1- معايير تحديد السلوك السوى واللاسوى

1-2. الاتجاه الاجتماعى الثقافى

1-3 . الاتجاه الذاتى

1-4. الاتجاه الإحصائى الكمى

1-5 . الاتجاه الإنسانى

1-6. الاتجاه المرضى

2 . تصنيف عوامل الجنوح

3. تصنيفات الشخصية الجانحة :

3-1. التصنيف السايكاترى

3-1-1 . التصنيف الدولى (I.C.D)

3-1 -2. التصنيف الأمريكى (DSM)

3-2 . التصنيفات المرضية

3-3 . التصنيفات السايكلوجية

3-4 . تصنيف علماء الاجتماع

3-5 . التصنيف التكاملى

4. تعليق

5. الأوصاف المختلفة للشخصية الجانحة حسب التصنيفات (السابقة):

5-1. الشخصية السيكوباتية

5-1 . الشخصية السسيوباتية

5-3. الشخصية المضادة للمجتمع

5-4 . أوصاف أخرى

6 . تحديد الصورة الإكلينيكية للشخصية الجانحة :-

6 - 1 . الصورة الإكلينيكية للجانح كما يراها "كليكلى"

6 - 1. الصورة الإكلينيكية للجانح كما يراه "كرافت"

6 - 3. الصورة الإكلينيكية حسب د/ عادل عبد الله محمد

6 - 4. صور إكلينيكية أخرى للشخصية الجانحة

الفصل الأول

محددات وتصنيفات السلوك الجانح

1 .محددات السلوك الجانح

قبل الدخول فى محددات السلوك الجانح ،يتحتم علينا إعطاء لمحة ولو قصيرة عن ما هى العوامل المؤثرة عامة على السلوك؟ ثم ما الفرق بين السلوك السوى والسلوك اللاسوى؟

يذهب "د/ علاء الدين كفافى 1998 " إلى أن العوامل التى تحكم السلوك السوى هى العوامل نفسها التى تحكم السلوك غير السوى. والفيصل بين الحالين هى الصورة التى تكون عليها هذه العوامل " (د/ علاء الدين كفافى،1998، ص 13) .

ونقصد بالصورة التى تكون عليها هذه العوامل :أى مدى كثافتها ومدتها الزمنية وتكرارها، والأهم من كل ذلك كيفية إدراك الفرد وتمثله لهذه العوامل.

وعادة ما تصنف العوامل المؤثرة فى السلوك إلى مجموعتين: المجموعة الولادية التى لا علاقة لها بالبيئة التى يعيش فيها الفرد، والمجموعة البيئية .

"وتتمثل المجموعة الأولى فى العوامل الوراثية واضطراب الغدد وبعض المتغيرات البيولوجية الأخرى.أما المجموعة البيئية فتتمثل فى عمليات التعلم، وفى أسرة الطفل، ونوعية العلاقات التى تنشأ بينه وبين أفراد الأسرة، وبينه وبين زملائه فى المدرسة، وكذلك الوسط الثقافى والاجتماعى العام المحيط بالطفل "(المرجع نفسه ، ص13).

ومع تطور الدراسات فى المجالين الوراثة والبيئة أصبح من المسلم به ـ عكس الصراع الذى كان بين أنصار العوامل الوراثية، وأنصار العوامل البيئية ـ أن لكل من الوراثة والبيئة دورًا فى تحديد السلوك.

فإذا سلمنا أن العوامل المؤثرة فى السلوك السوى وغير السوى هى عوامل وراثية وبيئية . فما الفرق إذًا بين هذين النوعين من السلوك، أى ما معايير السلوك السوى؟ وما معايير السلوك اللاسوى؟

وفى ذلك يرى " عبد السلام زهران 1977" أن " مفهوم السلوك السوى و اللاسوى لا يفهم أحدهما إلا بالرجوع إلى الآخر، و الفرق فرق فى الدرجة وليس فى النوع بين السوى واللاسوى، أو بين العادى والشاذ أو بين الصحة النفسية والمرض النفسى..."(د/ حامد عبد السلام زهران،1977، ص 12).

ويعرف كل من "بيتر ستراتون Straton.P , نيكى هايز Hayes.N " السوية بأنها الحالة التى يمكن اعتبارها حالة قابلة للملاحظة، وأنها على عكس من حالة اللاسوية..." فى (د/ عبد الرحمن سيد سليمان، 1993، ص 8).

أما السلوك اللاسوى فيعرف تارة ما يخالف الاستواء، والاستواء ليس واضحا دائما فهو تارة الاضطراب النفسى، وطورا السلوك الذى يعبر عن درجة غير مألوفة من ضعف التناسق داخل الشخصية، وهو أحيانا السلوك غير المألوف أو السلوك المتطرف..." (د/ نعيم الرفاعى، 1998، ص 59).

1-1 - معايير تحديد السلوك السوى واللاسوى

إن تعدد التعاريف هذه وتناقضها أحيانا أدى إلى أن هذا الموضوع أصبح مثار جدل؛ حيث شكل عدم وضوح الحدود بين درجات السواء ودرجات اللاسواء، مشكلة تصدى لها كثير من الاتجاهات المهتمة بالسلوك الإنسانى؛ مما أدى إلى بروز اتجاهات مختلفة نلخصها كما يلى:

1-2.الاتجاه الاجتماعى الثقافى:

ويمثله كل من " باندورا، أدلر، سولفان، فروم، باولبى..." إن المجتمع يضع المعايير والأعراف والعادات التى تحكم السلوك وتميز حدوده من مقبول إلى مرفوض، وكل سلوك يتجاوز ما أقره المجتمع وثقافته يعتبر شاذا".

1-3.الاتجاه الذاتى:

ويمثله كل من " فرويد، ميلانى كلاين، ونيكوت، ماهلر..."إن محك السلوك اللاسوى وفق هذا الاتجاه هو ما يقرره الشخص وما يطلقه من أحكام وقيم، معتمدا على تقويماته الذاتية ؛فالشعور بالضيق، أو الهم، أو القلق أو الإحباط أدلة على شذوذ السلوك.

1-4.الاتجاه الإحصائى الكمى:

وهو إمكانية التعرف عـلى السلوك الشاذ عبر توزيع اعتدالى ويمثـل إحصائيا بمنحنى "غـوس " Gauss فى ميـدان الذكاء، مما أدى إلى تعمـيم ذلك على الظواهر الأخرى، ومن بينها الظاهرة النفسية .

1-5.الاتجاه الإنسانى:

ويمثله كل من " ماسلو، روجرس..." حيث يربط هذا الاتجاه السوى بتحقيق إنسانية الإنسـان، ويشيـر إلى اللاسواء بالخـروج على هذه الإنسانيـة . هذا الكمال الذى جـعل الإنسان متفـردا من حيث امتلاكه للجهـاز العصبى الراقى، والعمليات العقليـة المعرفية، واللغة والقدرة على التعلم والتـرميز والقدرة على العيش ضمن جمـاعات مع ما يترتب على ذلك من تفاعل اجتماعى بناء.

وهكذا ربط أنصار الاتجاه الإنسانى الاضطراب والـسلوك اللاسوى بعدم القدرة على تحقيق هذا النموذج، المستمد أساسًا من بنية الإنسان البيولوجية والإنسانية .

1-6.الاتجاه المرضى:

يربط أنصار هذا الاتجـاه وجود السلوك اللاسوى بوجود اضطراب أو مـرض ما لدى الشخص، ويسـتدل من وجهـة نظر هؤلاء على ذلك من خلال الأعراض بحـيث يصبح محك وجود الشذوذ هو وجود الأعراض، تلخيص عن (د/ على سعد، 1994، ص ص 43-46).

إن هذه الاختلافات فى تفـسير مصدر السلوك السوى واللاسـوى، يجعلنا نتريث فى استعـمال أى اتجاه. ذلك أن هذه الرؤى منطلقة من خلفـيات ومقاربات نظرية وفلسـفية مختلفة مـضاف إليها أن السوية واللاسوية مفـهومان نسبيان فى مراحل العـمر المختلفة، وفى الأزمنة المختـلفة، وفى الثقـافات المخـتلفة (د/ حامـد عبـد السلام زهران ،1977، ص12).

فمـا بالك إذا أردنا أن نفـسر السلوك اللاسـوى أو الشاذ بمعنى السلوك الجـانح الذى كما رأينا سـابقا أنه وليد عوامل كـثيرة ومتـفاعلة ، يضاف إلى ذلك كيفـية إدراك الطفل لذلك الكل فى موقف معين.

2.تصنيف عوامل الجنوح

لقد حاول الكثير من المهتمين بالموضوع تصنيف عوامل الجنوح . ومن هؤلاء(سيرل بيرت، سيلوس،سعد المغربى، طه أبو الخير، رزق سند إبراهيم،...إلخ).

وعليه.. يمكن تقسيم عوامل الجنوح حسب "رزق سند إبراهيم 1990 "إلى مجموعة من المتغيرات تظهر فى شكل ثلاثة عوامل أساسية:

1ـ عامل فردى ويظم العمر، الجنس، الحالة الزوجية، المهنة، السكن، الطبقة الاجتماعية، التعليم، التنشئة، البناء النفسى.

2ـ عامل فيزيقى ويظم السلالة، المناخ، خصوبة التربة وطبيعتها، الطول النسبى للنهار والليل، الفصول، الظروف الجوية.

3ـ عامل اجتماعى ويضم الكثافة السكانية، الهجرة، الرأى العام، العادات والتقاليد، الديانة، الوضع الاجتماعى، الظروف الاقتصادية والصناعية .(د/ رزق سند إبراهيم ليلة،1990، ص 28).

وهذا ما قال به "أنريكو فيريى Enrico Ferrié "فيما يخص سببية السلوك الإجرامى عموما من أن " الجريمة هى نتيجة أسباب متعددة على الرغم من كونها مرتبطة بشبكة علاقات معقدة، فإنه يمكن كشفها ..." فى (رزق سند إبراهيم، مرجع سابق، ص 7).

وما كان قد ذهب إليه " سيرل بيرت Cyril Burt " من أنه " لا يمكن عزو الجريمة إلى مصدر واحد أو مصدرين أو ثلاثة، بل تتحدد الجريمة من تشكيلة واسعة وفيرة من التأثيرات المتعاقبة والمتضافرة .إن طبيعة هذه العوامل واتحادها تختلف إلى حد كبير من فرد إلى آخر" (Iréne Larauche,1998,P20) .

كما حاول "بيرت " نفسه تحديد الجريمة ضمن أربع درجات من العوامل؛ بحيث يمكن ضبطها فى أى حالة خاصة بالجريمة، والتى يمكن تحديدها حسب أهميتها من حيث الشدة، هذه العوامل هى :

1 ـ التأثير الرئيسى البروز ،إن وجد.

2 ـ العامل أو العوامل الرئيسية المساعدة.

3ـ الظروف الثانوية المهيأة والتى تساعد على تفاقم الحالة.

4 ـ عوامل حاضرة ولكنها لا تعمل بشكل ظاهر.(Ibid,P22).

وحاول كذلك "د/ محمد جبل 2000 " تصنيف العوامل المؤدية إلى الدخول فى الجنوح،حيث قسمها إلى عاملين أساسيين، وهما:

أ ـ عوامل بيئية: وتشمل عوامل فرعية مثل :

ـ عوامل حيوية(تأخرالنضج، التشوهات الخلقية،الأمراض المزمنة،...إلخ) ـ عوامل أسرية (الفقر، ازدحام المنزل، انهيار الجو الأسرى، أسلوب التربية، الحالة الأخلاقية للأسرة..إلخ).

ـ عوامل بيئية خارج المنزل(قلة المراقبة الأسرية للطفل خارج المنزل،عدم متابعة دراسة الطفل، مشاكل أوقات الفراغ، المشاكل الناجمة عن عدم إقامة أنشطة وهوايات فى المدرسة...إلخ).

ب ـ عوامل نفسية : ويرجعها "د/ فوزى محمد جبل " إلى أن المشاكل أعلاه تنتج عن عدم الإشباع للحاجات مما يؤدى إلى العجز عن التكيف النفسى الاجتماعى السوى، فينجر عنه "...صراع نفسى أو نوع من انعدام الأمن الداخلى، لا يلبث أن يستفحل حتى يصير الجانب الغالب فى تكوين الناحية النفسية للطفل..." (د/ فوزى محمد جبل،2000 ، ص417).

والملاحظ على هذا التصنيف الأخير أننا وجدناه مأخوذا من محاولة التصنيف، التى قام بها كل من "د/ مصطفى فهمى، د/ محمد القطان سنة 1977 فى كتابهما المشترك تحت عنوان: علم النفس الاجتماعى، ط 2 ، مكتبة الخانجى، القاهرة، ص251.

وقام " سعد المغربى 1960" هو بدوره كذلك بحصر عوامل الجنوح فى عاملين أساسيين على غرار "د/ مصطفى فهمى وآخرون، كما يلى:

1 ـ عوامل خارجية وحصرها فى جوانب اقتصادية ،أو صحية، أو ثقافية حضارية .

2 ـ عوامل نفسية، ورأى أنها ناتجة عن انعكاس العوامل الخارجية، مضاف إليها الجانب الوراثى أو الاضطرابات العقلية.

ودليله على ذلك أنه "... وجد نسبة كبيرة من الأطفال والمراهقين الذين قدموا لمحاكم الأحداث لا يعانون من شذوذ أو اضطرابات نفسية جوهرية، تكون سببًا فى

انحرافهم أو إجرامهم، وإنما هم ضحايا لظروف خارجية مختلفة تتسم بعدم الأمن أو الطمأنينة الاجتماعية أو لأسباب تتعلق بالانخفاض الشديد لمستوى المعيشة الذى يعيشون فى ظله، أو هم ضحايا لمزيج من هذا أو ذاك ..." (سعد المغربى، 1960، ص 30).

يرى "سعد المغربى " .. أن العوامل الخارجية المتسببة فى الجنوح ليست بمفردها بالضرورة تؤدى إلى الجنوح، وإنما إذا استمرت هذه العوامل طويلا يزداد ضغطها . " مما يفسح فى نفسية الحدث مجالا لكى تنشط بعض العمليات النفسية المنحرفة لتظهر بعد ذلك على شكل سلوك انحرافى ...". (المرجع نفسه، ص31).

وعليه يذهب "سعد" إلى أن انحراف الأحداث ما هو إلا عرض أو مجموعة أعراض، وليست مرضا قائما بذاته له اسمه وتطوراته، فقد يكون عرضا يعكس اضطرابا اجتماعيا وضغطا اقتصاديا وصراعا حضاريا . وقد يكون عرضا لاضطراب نفسى أو مرضى أو عقلى، وقد يكون عرضا لنقص عقلى موروث أو ولادى.

من جهة أخرى يرى "سعد المغربى" أن الجانب الاقتصادى لا يؤدى بالضرورة إلى الجنوح ـ على عكس ما يقوله "Muccheilli L,2000" ـ فحسبه "أن الجانب الاقتصادى المنخفض إنما يعرض الأسرة للتفكك والاضطرابات، وهذا من شأنه أن يدفع الصغار إلى طريق الجريمة والجنوح.

على الرغم من أن أسرًا كثيرة من ذوى الدخل المنخفض لا يظهر الجنوح بين صغارها بشكل واضح. إلا أن الشخصية تتأثر فى نموها وتبدو مشاكلها على المدى البعيد...لأن دخل الفرد ليس مسألة كمية فحسب، فقد يكون الدخل كافيا لإشباع حاجات الإنسان الأساسية من مسكن ومأكل وملبس، ولكنه مع ذلك لا يحقق حالة الشعور بالأمن أو الإشباع والرضا النفسى والاجتماعى، أى لا يحقق المكانة الاجتماعية التى يطمح إليها الفرد..." (المرجع نفسه،ص ص 152- 124).

وهذا ما أشار إليه الباحث "سلوس Sellosse,1961 " من أن العوز المادى ليس دائما كافيا بمفرده لتفسير انحراف الأحداث، بل هناك متغيرات خمسة تميز عائلات الأحداث الجانحين بالمقارنة بعائلات غيرهم من الأحداث، وهى: غياب الأب، سوء تفاهم الوالدين، البطالة وعدم الاستقرار المهنى، الإدمان الكحولى فى الأسرة،، الماضى الجانح لأحد الوالدين " (Sellosse,1961,P125).

وهو نفسه ما ذهب إليه "سيرل بيرت " من " أن الفقر وحده لا ينتج الجريمة، فإذا كان أغلبية الجانحين من المحتاجين.. فإن معظم المحتاجين ليسوا من الجانحين " (د/ خيرى خليل الجميلى،1981،ص230).

ذلك أن كثيرا من حوادث الجنوح وجرائم العنف والاعتداء على الممتلكات يمكن إرجاعها إلى عوامل اقتصادية ." ولكن معظم الذين يقترفون تلك الجرائم لا يدفعهم إليها الفقر وحده، ولكن الدافع هو عدم الرضا عن الدخل المحدد بالطرق السلمية قانونا" (د/ خيرى خليل، مرجع سابق، ص228).

لذلك ليس هناك دليل قاطع يوضح أن الفقر هو العامل الوحيد الذى يسبب دائما انحراف الأحداث؛ بدليل أننا قد نجد فى الأسرة ذات الدخل المتواضع، أطفالا قد يكونوا كلهم أسوياء، كما قد نجد فى أسر أخرى فقيرة يمس الجناح أحد أو بعض أطفالها فقط .

وعلى هذا فالفقر هو عامل مساعد ومهيأ للانحراف؛ لأن الطفل يتأثر بظروف الأسرة الاقتصادية المنخفضة، أكان ذلك عارضاً أم غير عارض.

أما " طه أبو الخير ،د.ت " فقد رأى أن عوامل الجنوح متفاعلة ولخصها وصنفها كالتالى:

1 ـ عوامل متعلقة بسن الأحداث الجانحين.

2 ـ عوامل متعلقة برفاق الأحداث الجانحين .

3 ـ عوامل متعلقة بالمستوى التعليمى للأحداث الجانحين وذويهم.

4 ـ عوامل متعلقة بمهن الأحداث الجانحين وذويهم.

5 ـ عوامل متعلقة بأسر الأحداث الجانحين.

6 ـ عوامل متعلقة بسكن الأحداث الجانحين " (طه أبو الخير، ص 198).

إن الملاحظ عموما على هذه التصنيفات أنها تتقارب كثيرا ،من حيث أنها جعلت عوامل الجنوح منها ما هو أسبابه داخلى فى الأسرة، ومنها ما هو أسبابه خارجى عن الأسرة.أما البعض الآخر فجعلها أسبابًا خارجية وأخرى نفسية .إلا أن هذه المحددات

نست أن تشير إلى الفروق الفردية التى يمتاز بها كل حدث، سواء كان داخل أسرته أو خارجها، وأن الحدث ليس وهو فى أسرته نفسه وهو خارج الأسرة .

كما أن هذه التصنيفات لم تشر أصلا إلى كيفية إدراك الجانح للبيئة والمحيط الذى يعيش فيه؛ مما يجعلها تظهر أنها لا تفى بكل الحقيقة.

كما قامت تصنيفات عوامل الجناح أعلاه على الفصل بين العملية الجناحية (القيام بالفعل) ومكوناتها(شخصية الجانح، المحيط، العلاقة بينهما) من جهة ،وبين مكونات العملية الجناحية فى حد ذاتها؛مما جعل العملية الجناحية تصبح كأنها تركيب آلى لوحداتها ، فبمجرد توافر ذلك ستعطينا حدثا جانحا بالضرورة .

إن معظم العوامل سواء كانت تدور داخل الأسرة أو خارجها، وبحكم أن الحدث قانونيا فى الأصل لا يسأل وإنما يسلم إلى والديه، أو من ينوب منابهما فى حالة اقتراف الجريمة.. فإن هؤلاء بالظرورة هم المسؤولين عنه، سواء أكانت مسؤولية مادية أم معنوية، ومن ثم فإن متغير عمر الجانح، أو جنسه ،أو مزاملته لأصدقاء السوء، أو مهنة أوليائه، أو دخل الأسرة، أو مستواهما التعليمى، أو مكان سكناهم، أو أصلهم ،... فهو لا دخل له فى كل ذلك ، وإنما الأسرة أو من ينوب منابها،هى التى تتحمل مسؤولية ذلك، ومن خلالها فقط يتأثر سلوك الجانح.

يظهر أنه من الصعوبة بمكان الإلمام بكل هذه العوامل مجتمعة فى بحث بهذا المستوى، كما أن جهد فرد واحد لا نضنه كافياً للإحاطة بالموضوع؛ لإمداداته وتفرعات فى اختصاصات كثيرة.

كما أنه من الصعوبة الإحاطة بكل عناصر العملية الجناحية، وبمتغيراتها فى عمل كهذا، هدفه توصيل معلومات نظرية وعملية، قصد حسن التصرف مع شخصية الجانح .

كما أن الإلمام بعلاقات الجانح وبكل محيطه يظهر أنها كذلك متعذرة؛ لأنها تحتاج كذلك إلى جهد مادى ومعنوى كبيرين. وهذا ما يدعو إلى اشتراك مخابر علمية متعددة التخصصات للاهتمام بظاهرة كهذه .

3. تصنيفات الشخصية الجانحة

تعددت التصنيفات فى هذا المجال (تصنيف سايكاترى، تصنيف مرضى، تصنيف نفسى، تصنيف علم الاجتماع...إلخ)؛ مما جعل تصنيف الشخصية الجانحة يتعدد

كذلك، الشيء الذى يرغمنا على المرور ولو بصورة سريعة ،على تطور تصنيف الأمراض النفسية، حتى يتسنى لنا أن نعرف كيف تطور التصنيف ؟ وأين مكان الشخصية الجانحة فى هذه التصنيفات المختلفة ؟

لقد وقع اتفاق مبدئى _ رغم خلفية الصراع النظرى فى البداية فى عملية تضنيف الأمراض بصفة عامة، وعلى أى أساس يتم ذلك ـ على تعريف تصنيف الأمراض النفسية على أنه " تخفيض عدد الظواهر وتحديدها على أساس خواص مشتركة بين مفردات الصنف الواحد ؛ بحيث يسهل إخضاع الظواهر المنفردة لقوانين عامة تسهل فهمها والتفاعل معها ..."(د/ محمد حمودة، 1991، ص151).

عرفته كذلك مجلة علم النفس الشواذ على أنه " إجراء لتركيب مجموعات أو فئات، وتحديد كيانات واضطرابات وأشخاص، على أساس العلاقات والصفات المشتركة بينها (American psychological Association ,1991).

وقد تجلت أهمية التصنيف فى مجال علم النفس المرضى من قول" كاتل Catel 1940"، " ...إن علم الأمراض سبق بالضرورة العلم بأسبابها " وبتعبير " مارزوف Marzov 1945 "، "... إن بناء مجموعة الأعراض سبق بالظرورة العلم بأسبابها " فى (د/ كمال الدسوقى، 1974، ص43).

من هذه الأقوال يفهم أن الأعراض هى التى تؤخذ فى الاعتبار، عند تصنيف الأمراض العقلية.

فالتصنيف إذًا قوامه فى ذاك الوقت هو تجميع الأعراض، ثم تحول بعد ذلك إلى البحث عن علل وأسباب نشأة الأمراض الذى يؤخذ به اليوم.

هكذا ظهرت تصنيفات مختلفة للشخصية المرضية، أهمها: التصنيف السايكاترى، والتصنيف المرضى، والتصنيف النفسى، والتصنيف الاجتماعى، والتصنيف التكاملى .

1-3.التصنيف السايكاترى:

وقد ظهر به نوعان من التصنيفات هما : التصنيف الدولى، والتصنيف الأمريكى.

3-1-1.التصنيف الدولى(I.C.D) : وقد ظهر نتيجة لانعقاد أول مؤتمر لوضع قائمة بأسباب الوفيات سنة 1900 بفرنسا . ولم تتضمن تلك القائمة الأمراض العقلية،

واستمر ذلك إلى غاية 1939، حيث ظهرت ما يسمى بالقائمة (الخامسة 5) (I.C.D5) أى International List of Cause of Death، وبها ظهرت الأمراض العقلية ضمن الفصل الخامس الخاص بأمراض الجهاز العصبى وأعضاء الحس المختلفة. وكان المذكور منها حينئذ أربع مجموعات فقط، وهى: النقص العقلى، الفصام، ذهان الهوس والاكتئاب، وكل الأمراض العقلية الأخرى (د/ محمود حمودة، 1991، ص ص 152-151).

ثم صدرت القائمة (السادسة 6) (1948 (I.C.D 6، واشتملت لأول مرة على فصل خاص بالأمراض العقلية شاملا أسباب المرض والوفاة، ثم كانت القائمة (السابعة 7) سنة 1955، بعدها نشط السايكاتريون على مستوى العالم بمساعدة منظمة الصحة العالمية . World Health Organisation (W.H.O) فظهرت القائمة(الثامنة 8) عام 1956 متضمنة الوصف الإكلينيكى والتشخيصى الفارقى والعلاج للاضطرابات العقلية. ومن هنا بدأت اللغة المشتركة للطب النفسى تصل بين أجزاء العالم، وشجع ذلك السايكاتريون على بذل مزيد من الجهد .ظهر فى القائمة التاسعة عام 1979 مشتملة على إضافات وتحسينات كثيرة ،منها إضافة اضطرابات الأطفال النفسية واضطرابات النمو.

وأخيرا ظهرت القائمة (العاشرة 10) فى سنة1990 بمساعدة .(W.H.O) وقد شملت عديداً من مظاهر الاضطرابات الخاصة بمرحلتى الطفولة والمراهقة، والتى يمكن أن تصيب الفرد خلالها، ومن بينها: اضطرابات نمائية نفسية _ اضطرابات سلوكية انفعالية ـ اضطرابات الأكل والنوم ـ اضطرابات الهوية الجنسية فى الطفولة.

ويلاحظ أن هذه الاضطرابات الأخيرة تعتبر من بين أكثر اضطرابات الطفولة والمراهقة، وبها يقع كذلك اضطراب مسلك الجنوح .

وبناء على أن العمل الحالى يتناول هذا المتغير.. فإننا سنركز أكثر على هذه القائمة لمعرفة كيف نظرت إلى سلوك الجنوح .

جاء ذكر السلوك الجانح كاضطراب فى قائمة الاضطرابات السلوكية والانفعالية، والتى توزعت بدورها على محاور مثل بقية القوائم الأخرى التى يتكون منها (I .C .D 10) وهى:

ـ اضطرابات سلوكية وانفعالية عادة ما تبدأ فى مرحلة الطفولة والمراهقة.

- اضطرابات مختلطة المسلك والانفعالات.
- اضطرابات الأداء الوظيفى الاجتماعى ذات البداية المحددة فى الطفولة .
- اضطربات النفضات أو اللازمات .
- اضطرابات سلوكية وانفعالية اخرى.

أما ما يهمنا فى كل هذا ويتماشى مع الموضوع المطروح للبحث، نجد أن الجنوح ذكر فى أنماط الاضطرابات المسلكية، وهى:

1- اضطراب مسلكى مقتصر على الأسرة.

2- اضطراب مسلكى غير متطبع اجتماعيا (غير متماشٍ مع القواعد الاجتماعية).

3 - اضطراب مسلكى متطبع اجتماعيا (متماشٍ مع القواعد).

4 - اضطراب مسلك التحدى والجرأة فى المعارضة.

5- اضطرابات مسلكية أخرى غير محددة.

وحسب هذه القائمة.. فإن أعراض السلوك الضد اجتماعى تظهر فى أن الأطفال المصابين بالجنوح هم أشخاص رفضوا الانتماء الاجتماعى، وتنكروا للقيم الأخلاقية والثقافية التى أقرها المجتمع خلال سياقه التاريخى . يتميز هؤلاء بالفقر الوجدانى وتحول موضوعاتهم الانفعالية من المجتمع إلى جماعات خاصة؛ حيث يبدلون انتماءاتهم الاجتماعية بالانتماء لهذه الجماعات ، ولا يشعرون بالذنب على ما يقومون به من مخالفات وجرائم بحق الآخرين ... ويعجز هؤلاء عن تبنى أى فلسفة بأهداف واضحة؛ فاللذة هى التى تقودهم، وليس شرطا أن تكون لذة معترفًا بها اجتماعيا، وضميرهم عقيم لا يتطور .. يتميزون بالكذب ولا يشعرون بالخجل.

وهكذا يذهب " د/ سعد على 1994" إلى القول " بأن أشكال العدوان كافة، اللفظية والمادية والمعنوية، وأشكال الجنوح كافة، من سرقة بكل أنواعها ،أو جرائم اغتصاب ،أو إدمان ،أو بغاء... كلها توسم من يمارسها بشكل نمطى بالاجتماعية الشاذة أو الشذوذ الاجتماعى (د - على سعد، 1994، ص 184).

3.1.2.التصنيف الأمريكى(D.S.M) : ظهر التصنيف الأمريكى الأول للأمراض النفسية فى عام 1952، بعد إصدار الدليل السادس(I.C.D. 6) بتفويض جمعية الطب

النفسى الأمريكى (A.P.A)بتعديل مجموعة المصطلحات المصنفة القياسية، وتطوير نسخة بديلة عن (I.C.D.6)، وبذلك ظهر ما يسمى (D.S.M)، الذى هو عبارة عن اختصار لـ Diagnostic and Statistical Manual of mental disorders، الوجيز الإحصائى التشخيصى للاضطرابات العقلية . الذى أصبح فيما بعد من أشهر أنظمة التصنيف فى العالم، حيث اعتمد على التصنيف الثلاثى التقليدى للاضطرابات العقلية (الذهان، العصاب، اضطرابات الشخصية).

استمرت الدراسات فيما بعد، وبذلك ظهر فى عام 1968 إصدار الوجيز الثانى (D.S.M.2)، الذى ظهر فيه تصنيف الجناح فى قائمة اضطرابات السلوك فى الطفولة والمراهقة، ثم طورت جمعية الطب النفسى الأمريكى دراستها، بالأخص الجانب القياسى منها، لتوفير مزيد من الصدق والثبات لتصنيفاتها، وبذلك صدر الدليل الثالث (D.S.M.III) عام 1980 .

شمل هذا التصنيف عدداً ضخماً من الاضطرابات السلوكية والأعراض المميزة لها، تطابقت فى كثير منها مع (I.C.D.10)، كما اختلفت عنها فى بعض التفصيلات الرئيسية والفرعية (د/ على سعد ، المرجع نفسه، ص 157).

ثم ظهرت له طبعة منقحة ومعدلة لهذا التناول سنة 1987 عرفت بـ(D.S.M.III.R) استندت إلى عديد من نتائج الدراسات التى توصلت إلى إثبات الفئات التشخيصية، ويعتبر هذا التصنيف موجها ومرشدا ذا أبعاد متعددة يسعى لتوفير معايير إجرائية محددة الاضطرابات النفسية ... (صاغى نورة، 1994، ص4)، حيث خصص قسماً مهماً من الدليل للاضطرابات النفسية التى تظهر فى السنوات الارتقائية (الطفولة والمراهقة، التى أشار إليها الدليل بـ"اضطرابات مراحل الطفولة والمراهقة".

وقد امتازت هذه الطبعة المنقحة للدليل الثالث المعاد بعدة خصائص مهمة، منها:

1ـ افتراض أن الاضطرابات النفسية مستمرة ... ويضم هذا الافتراض المفهوم الكمى للشذوذ ، كطريقة لتجنب اعتبار المضطربين مختلفين اختلافا جذريا ونوعيا عن الأسوياء.

2 ـ ركز على الاضطرابات النفسية وليس على الأفراد.

3ـ بين أن المعرفة حول أسباب معظم الاضطرابات النفسية ما تزال قليلة.. لذلك فقد

استند المشرع إلى التناول الوصفى ، باستثناء الأمثلة النادرة ذات الظروف الباثولوجية الواضحة .

4ـ قدم معايير سلوكية موضوعية محددة ،كموجهات لعمل كل تشخيص ووضعه فى قائمة، مما زاد من إمكانة الاتفاق بين المشخصين من جهة، ويسر البحث فى صدق فئات التشخيص من جهة أخرى.

5 ـ استخدم نظاما متعدد المحاور لوصف واسع وعريض لاضطرابات الفرد.

6ـ أولى اهتماما خاصا للاضطرابات النفسية التى تظهر فى السنوات الأولى للطفولة والمراهقة (Rosenhan David L. & all,1984,pp157-158).

بعدها ظهر التصنيف الرابع (D.S.M VI) ، الذى اعتمد كثيرا على نتائج الدراسات الحديثة فى الاضطرابات الشخصية، وبالأخص الاضطراب الذى يمس الأطفال والمراهقين ؛ مما جعله يعيد النظر فى عديد من المصطلحات، وإعادة ضبط كثير من الاضطرابات.

3-2-التصنيفات المرضية:

إن لقيام بمجرد مخالفة ليس معناه بالضرورة شخصية مضادة للمجتمع؛ مما يحتم التفريق بين الجنوح بالمفهوم الشرعى وهو تجاوز بعض القوانين الرسمية، والجنوح بالمعنى النفسى الذى يتميز صاحبه ببناء شخصى، يحمل سمات الشخصية المضادة للمجتمع.

وهكذا يذهب "لومى Lomay 1983 " إلى أنه من الممكن التمييز بين الطرز Types المختلفة من الجنوح حسب المخالفات، التى تتم فى إطار السياق النفسى المرضى،كالتالى:

1- الجانح ذو الطراز العصابى: وهذا الطراز يعيش (أطفال ومراهقون)، شعورا بتأنيب الضمير المبالغ فيه دون أن يقوم بأخطاء أو مخالفات مهما كانت . ولذلك يقوم هؤلاء بمخالفة أو مخالفات إرادية حتى يخففوا من الشعور بالذنب، وهو فى حد ذاته عقاب ولكنه عقاب ذاتى يسعون إليه؛ مما يجعل الجانح العصابى يحبذ القبض عليه وهو متلبس بالجريمة، بل يذهب أحيانا إلى الشرطة للتبليغ عن نفسه .

ويفسر هذه الدينامية أى دينامية الفعل الجانح " روبير بيلسر ١٩٨٩ Robert Pelsser

بقوله:" أنا مـذنب ولذلك أستحق العقـاب، وللوصول إلى ذلك أقوم بمخالفـة لأتعرض للعـقـاب ..." Robert Pelsser,1989,p185، وهو الرأى نفسـه الذى ذهبت إليـه " ميلانى كلاين " من حيث أن الأنا الأعلى قوى عند الجانح.

2 ـ الجـانـح ذو الطراز المزاجى : يقوم الجانح من هذا الطراز بمخـالفات متكررة فى مدة زمنيـة طويلة نسبيا، حـيث يعيش اضطرابات (صراعـات داخلية يعبـر عنها بواسطة القيام بمخالفات من نوع "المرور إلى الفعل Le passage á L, acte . وعند القبض عليه يقر بذنبه، غير أنه فى الحقيقة لا يـملك ميكانيزمات الضبط الكافية، والقدرة على تكوين صراعات نفسية لمقاومة الرغبة للمرور إلى الفعل، ومن ثم القيام بالمخالفات .

فالجـانح المزاجى يتصف بتناقض وجدانى، وإحـساس متطرف بالذنب . غـير أن هذا لا يمـنعـه من القـيام بمخـالفات، كـمـا أنه يعيش الـتناقض الوجدانى فـى علاقـاته مع الآخرين .

فهو من جهة يحبذ ربط علاقـات، ولكنه من جهة أخرى يفعل عكسها، إنه يخاف أن يكون مراقبا، ومن ثم مسيطرا عليه. ولذلك يتـمظهر بأنه مستقل عن الكبار، غير أن ذلك لا يمنعـه من أن يحس بأنه منبوذ وغـير مـحبـوب؛ مما يجعله يبـحث عن ربط عـلاقات جديدة .

وتعنى دينامـية الفـعل الجانح لدى الجـانح المزاجى، كالتـالى: "أعيش فى صـراع مع الآخر، وأنا أحترمه، ولكننى فى آن واحد أنا معارض له».(ibid. ,P185).

3 ـ الجانح ذو الطراز المضاد للمجتمع أو السيكوباتى: بالإضافة إلى الاضطرابات السلوكـية التى يـعيـشهـا.. فإنه يـهاجم الآخـرين وممتلكاتهم، وذلك ناتج عن الصـراع الداخلى الذى يظهر على شكل " مرور إلى الفعل Passage á L, acte " .

فالجانح السيـكوباتى يقوم بالمخـالفـة بكل برودة، كـفعل تافه مـبتذل فى نظره، لأنه لا يحس بتأنيـب الضميـر، بل يذهب إلى إيجاد تبـريرات لفعلتـه، وحتى عندمـا يقبض عليـه، يظهر انزعـاجـا ، ولكن ليس فيـه تأنيب الضـميـر، فـإذا ظهرت عليـه علامـات الانزعاج، فلـيس ذلك بسبب مـا أصاب المعتـدى عليه، بل بسـبب ما يصـيبـه من جراء القبض عليه ومحاكمته وتعطيل جريمته...إلخ.

عادة ما يقطع الجـانح السيكوباتى علاقاته بالآخرين، واسـتراتيجيتـه تكون كالتالى :

إما التلاعب بالآخرين أو جذب المستمعين، أو الانغلاق على ذاته، أو التهيؤ للدفاع أو تهديد الآخرين والتهجم عليهم كلاميا وإظهار الكراهية لهم.

وتظهر دينامية الفعل الجانح كالتالى: " لا أريد أن أعرف أى شىء عن الآخر، ولكن أفعل ما أريده أنا " (ibid. ,P86).

4. الجانح ذو الطراز الذهانى : قد يظهر الأطفال أو المراهقون اضطرابات ذهانية، مما يجعلهم يسقطون فى مخالفات تدل طبيعتها، على أن لديهم اضطراباً فى الشخصية على شكل ضعف فى ميكانيزم الضبط، وضعف فى الحكم الأخلاقى، ورخاوة الأنا، وتفكير بارانوى.

إن القيام بفعل المخالفة يسمح للجانح الذهانى أو الشخصية المحدودة La personnalité limitée أن يتمسك بالواقع وأن يدفع ضد القلق، وضد الإحساس بالانهيار النفسى.

إن الطراز الذهانى يظهر بواسطة فعل المخالفة (سرقة، هروب، اعتداء)، على انه يحاول التشبث بشىء واقعى. ومن ثم يعيد تنظيم شخصيته مؤقتًا، ليحاول إعادة اكتشافه لتوحيد معالم الشخصية الداخلية، فى إطار تجاهل ورفض الآخر المنظور إليه على أنه غريب ومخيف.

كما يمكن التعبير عن السلوكيات الجانحة فى إطار اضطرابات أخرى، فمثلا لدى المصابين بالقصور العاطفى، تصبح المخالفة عبارة عن بحث عن العاطفة والاهتمام، وبذلك تفسر المخالفة هنا بأنها عبارة عن انتقام من الكبار الذين لم يلبوا حاجياتهم الأساسية .

أما فى حالة المصابين بقصور عقلى، تظهر المخالفة على أنها تعبير عن نقص فى الحكم الأخلاقى، ونقص فى التحكم الدافعى .(ibid. , P186) ...

يظهر التصنيف المرضى للسلوك الجانح على أن الفرد الجانح عمومًا لا يستطيع أن يكبح سلوكه واستهواءه لما يقوم به من فعل يضر بالآخرين ، فهو مدفوع قصرا للإيتاء بأفعال تسىء إلى الآخرين.

كما أن الجانح حسب هذا التصنيف يظهر أنه مندفع لتلبية نزواته دون ضبط لسلوكياته، وإما أنه يحس بالذنب ويعوض عن ذلك بقيامه بمخالفات قصد القصاص منه، أو يحس بصراعات داخلية، مما يجعله يعبر عنها بالقيام بمخالفات قصد جلب انتباه

المحيطين به إلى حالته غير المتكيفة، أو عدوانى يهاجم الآخرين وممتلكاتهم بكل برودة ودون تأنيب ضمير...الخ.

كل هذه السلوكيات المضطربة تدفع إلى القول بأن صاحبها يحتاج إلى تكفل متعدد الجوانب، يركز بالأخص على إعادة بناء شخصية الجانح.

2-3.تصنيفات سيكولوجية

كما أن هناك تصنيفًا آخر ناتجًا عن كثير من الدراسات التى اهتمت أصلاً بالعلاقات المبكرة بين مختلف أفراد الأسرة والطفل .وكذلك ..."الخصائص النفسية الشعورية واللاشعورية، والدوافع، والاضطرابات النفسية والعقلية، التى يمكن أن تصيب شخصية الجانح، والتى عادة ما ترجع إما لعوامل وراثية، أو عوامل مكتسبة..."(عبد المجيد منصور ،1998، ص 53)؛ حيث آلت إلى تحديد ثلاثة أنماط أساسية للجنوح.

1ـ الجانح المتطبع اجتماعيا أو المتعاون أو الجانح الزائف اجتماعيا : ويتصف أفراده بأنهم لا يختلفون فى نظرتهم عن غير الجانحين من حيث خصال الشخصية . ولكن نزعتهم إلى السلوك العادى للمجتمع تمثل جزءا من تطبيعهم اجتماعيا داخل جماعة اجتماعية من الجانحين، أو ما يطلق عليه بالثقافة الفرعية للجانحين .

2ـ الجانح غير المتطبع اجتماعيا : يتصف بنقص القدرة على الضبط الداخلى لدفاعاته، ويبدى عداوة صريحة ضد الآخرين، وهو أنانى معارض متبجح، يتصف بالانغماس الذاتى (يطلقون العنان لأهوائهم)، وبالنزعة إلى الاعتداء أو الإيذاء، دون إحساس بالذنب .

وقد يرجع ذلك إلى النبذ الوالدى المبكر والمستمر لهم (وخاصة من جانب الأم)، وإلى ما عاشوه فى الأسرة من مناخ من التنافر والخلاف، وعدم الاستقرار، ومن جراء قساوة الوالدين وعدم عطفهما، ومزاجهما ذوو الطباع الحادة ؛ مما يجعلهما يسيئان معاملة طفلهما. فى(/ د. بشير الرشيدى وآخرون، 2000، ص 59).

3ـ الجانح زائد الكبح، أو الجانح العصابى: يتصف بالقلق وصراعات داخلية نابعة عن نزعة مفرطة إلى كف التعبير عن المشاعر والاندفاعات التى تعمل فيهم . ويعتبر سلوكهم المعادى للمجتمع، من مظاهر الصراعات الداخلية الشديدة، رغم أنه ليس

واضحًا على الإطلاق لماذا يظهر السلوك الجانح عند البعض، ويكون العصاب النفسى واضحًا عند البعض الآخر .

إنهم نتاج بيئات أسرية باردة جامدة، منضبطة اجتماعيا بشكل زائد، كما يسيطر القمع الزائد على أسلوب الحياة فيها، حيث يلقى الأطفال استحسانا فقط فى حالة كونهم ملتزمين بهذه القيود؛ أى فى حالة من الكف أو الكبح.(المرجع السابق نفسه، ص 60).

هنالك كذلك تصنيفات نفسية أخرى لأنماط السلوك المجرم ، وهى فى عمومها ركزت على شخصية المجرمين الكبار.كتصنيف " كورزينىCorsini R، وتصنيف ابراهمسون Abrahamson D، وما يطلق عليه بالتصنيف العام ".

تصنيف "كورزينى ":حيث صنف المجرمين إلى سبع فئات، وهى كالتالى:

أ ـ المجرم العرضى : مثل السائق الطائش الذى يرتكب الجريمة دون أن يقصدها.

ب ـ الجرم الموقفى :وهو الذى يبرر مشروعية جريمته بظروف محددة ، مثل الذى يسرق رغيف الخبز ليتفادى الموت جوعا.

جـ ـ المجرم غير المسؤول : كالطفل المعتوه.

د ـ المجرم العصابى: وهو الذى يرتكب جريمته لأن لديه مشكلة يريد أن يواجهها، ويقضى عليها، رغم أنه لا يدرك ما يواجهه ولا يدرك كذلك أنه يواجه أمرا ما .

هـ ـ المجرم السيكوباتى.

و ـ المجرم غير المتزن انفعاليا : كالذى يستخدم العنف فى ارتكاب الجرائم الجنسية.

ز ـ المجرم المحترف وهو الذى يكسب عيشه عن طريق احتراف السلوك الإجرامى (عبد المجيد منصور، 1998، ص 53).

حيث يلاحظ على هذا التصنيف أنه متأثر نسبيا بتصانيف السيكاترية وبالأخص (I.C.D.10).

- **تصنيف " ابراهمسون "**: وهو تصنيف يعتمد على خلفية تحليلية مع بعض الإشارات إلى الجانب الاجتماعى ، وقد وضع المجرمين فى فئتين:

أ ـ المجرم العرضى: وهو مجرم عادى من الصنف الذى يندفع إلى ارتكاب الجريمة، تحت وطأة ظروف خاصة، تلابس الموقف الذى يوجد فى إطاره، كالجانح الذى يستولى على خبز، أو المجرم الذى تستثير فيه بيئته الإجرامية ميولاً إجرامية، أو المجرم الذى يرتكب جريمته بالصدفة.

ب ـ المجرم المزمن: وهو مجرم مدفوع بفعل أسباب غير اجتماعية، وهى من الصنف العصابى الذى يرتكب جريمته فى ظل ظروف عصابية تتسم بالطابع القهرى، وعدم القدرة على ضبط السلوك ، مثل: حالات جنون السرقة، جنون إشعال النار، والقتل، والكتابة الفاحشة . كما يمكن أن يكون هذا الشخص من الشخصيات السيكوباتية، الذى يقدم على الاغتصاب الجنسى والقتل، وإدمان المخدرات، والكذب المرضى، والشذوذ الجنسى.(المرجع نفسه السابق ص 54).

- **التصنيف العام**: وهو يتشابه إلى حد كبير مع التصنيف أعلا، وهو كالتالى :

1 ـ المجرم العرضى ويقابله المجرم المزمن.

2 ـ المجرم سوى الشخصية ويقابله المجرم مضطرب الشخصية.

ما يلاحظ على التصنيفات السيكولوجية عموما أنها اعتمدت على التصنيفات السيكاترية (I.C.D , D.S.M) والتصنيفات المرضية من جهة، وتصنيفات علم الاجتماع من جهة أخرى ، فى استعمال بعض المصطلحات؛ لتصف بها بعض السلوكيات التى لا تتناسب كثيرا مع ما يحمله المصطلح المستعمل فى هذه المعارف المختلفة. كاستعمال مثلا مصطلح " "اضطراب " الذى يعنى فى اللغة السيكاترية محتوى معينًا ومحددًا لبعض الشخصيات، والتى تقوم ببعض السلوكيات المحددة لايمكن تجاوزها ، ومصطلح " انحراف " مثلا الذى يعنى فى علم الاجتماع عموما تجاوز المعايير الاجتماعية.

من هذه الزاوية يبقى علم النفس دائمًا فى حاجة إلى الاتكاء إلى جدار العلوم

الأخرى، لو لم ينشط فى تكوين مصطلحات خاصة به؛ لأن المشكلة أن الظاهرة النفسية رغم أنها متأثرة وفى علاقة مع بقية الظواهر الأخرى(السيكاترية، المرضية، الاجتماعية، البيئية ...الخ)، ـ وهذا فى نظرنا ما يعطيها خصوصيتها ـ إلا أنها تبقى ظاهرة مستقلة، خاصة، نوعية إلى درجة أنها تكاد تكون متفردة؛ مما يحتم وبالذات بالنسبة " لموضوع الجنوح " إيجاد مصطلح أكثر إجرائية للتعبير عن الظاهرة فى إطارها النفسى الدقيق، ثم فى إطارها النفسى الاجتماعى المرضى ...إلخ.

ما يلاحظ كذلك على النوع الثانى من التصنيفات النفسية (كورزينى، ابراهمسون) أنه موجه أكثر إلى تصنيف المجرمين الكبار، أكثر مما هو موجه نحو إجرام الجانحين، وإن كان هناك قاسم مشترك بينهما. رغم ذلك إننا نضن أن جنوح الأحداث له طابعه الخاص وديناميته الخاصة، انطلاقًا من أن الطفل فالمراهق مازالا يمران بمراحل نمو مختلفة تنعكس آثارها فى فترة المراهقة بالأخص بمجموعة من الاضطرابات والآلام المتداخلة والمتنوعة (داخلية / خارجية).

فى حين نجد المجرمين الكبار، قد تجاوزوا مرحلة العواصف؛ ليصلوا إلى نوع من الاستقرار على الأقل، فيما يخص النمو بمظاهره المختلفة . هذا عامل يجب أن يحسب له ألف حساب بالنسبة للحدث الجانح.. الشىء الذى جعل التشريعات الحديثة تلتجئ إلى الاعتماد على الدراسات المختلفة (النفسية الإجرامية، الاجتماعية، السيكاترية ...الخ) لتتكيف وفق طبيعة وواقع فترة المراهقة بالأخص.

4-3. تصنيف علماء الاجتماع للمجرمين

يؤخذ هذا التصنيف فى ضوء تحديد القوى الاجتماعية، التى تؤدى إلى خلق المجرمين فى ضوء ثقافة خاصة تسمو فوق العوامل الفردية .

فقد تكون الجريمة لدى البعض أسلوبا للحياة، وطريقا لكسب العيش، حيث ينظم المجرم حياته فى ضوء نظرته إليها على أنها مهنة وحرفة وعمل، وفى ضوء هذه النظرية يتشكل عالم الجريمة فى مستويات يحددها بناء المجتمع وثقافته، وتظهر هذه المستويات فى تفاوت أسلوب حياة الإنسان المجرم، والثقافة الخاصة التى تسم أسلوب الحياة والفكر فى هذه الجماعات المنحرفة...إلخ.

ضمن هذا المنظور قدم الأستاذ " ثراتشر Thrasher 1927" من خلال دراسته التقليدية للعصابات الجانحة فى مدينة شيكاغو الأمريكية، والتى بلغ فيها عدد العصابات 1313 عصابة، حيث قدم "ثراتشر" أنماط العصابات التالية:

1 ـ النمط المستتر: وهو النمط البدائى غير المنظور الذى لا يعدو عن تجمع عدد من الأطفال حول قيادة محددة، لا تستلزم درجة كبيرة من التماسك والولاء.

2 ـ النمط المترابط: ويتميز بدرجة كبيرة من التماسك والولاء بين أفراد العصابة؛ الأمر الذى يشكل جبهة قوية متراصة فى وجه كل عدوان خارجى .

3 ـ النمط التقليدى : وهو الذى يمثل النمط الرياضى الشائع فى النوادى الرياضية حيث يمارس أفراد العصابة بعض النشاطات الرياضية والاجتماعية إلى جانب بعض النشاطات المنحرفة.

4ـ النمط الإجرامى : وهو الذى يتميز بنشاطات إجرامية مخالفة للقانون، كما يتميز باستخدام العنف على نطاق كبير (Thratsher F.M , 1927, PP 58-76).

أما "كوهين "Cohen 1955" فقد اعتمد فى تصنيفات الجانحين على معطيات تحليلية نفسية ،رغم أنه محسوب على علماء الاجتماع، حسب طبيعة العصابة؛ وسبب تواجدها إلى :

1ـ النمط الاجتماعى الذى يقوم على ثقافة سفلية.

2 ـ النمط النفسى الذى يقوم على أسباب نفسية.

3ـ النمط المختلط الذى يجمع بين النمطين السابقين (Cohen R.K, 1955, P16).

يضاف إلى ذلك أن هناك أنماطاً أخرى، بعضها يعتمد على نوعية الوظائف، التى يعهد بها إلى أعضاء العصابة الجانحة، ويعتمد البعض الآخر على نوعية الثقافة السفلية، التى ينتمى إليها الأحداث.

5.3 .تصنيف المجرمين فى ضوء التناول التكاملى

يعتمد التحليل التكاملى على التوفيق بين جميع التناولات؛ فهو يأخذ بالعوامل البيولوجية، والنفسية، والاجتماعية .

وفى هذا الإطار ظهرت محاولات عديدة لتصنيف السلوك الإجرامى ؛ من الصعوبة عرضها كلها، ولذلك سنحاول عرض أهم التصنيفات فى هذا التناول، وهى :

1 ـ تصنيف "فون ليست "Von leusst" ؛ وضع "ليست" الحالات الإجرامية فى ثمانى فئات، ثم أعاد النظر فيها من جديد كالآتى :

أ ـ حالات إجرامية يفتقر فيها المجرم إلى الوعى الكامل، وتظهر على شكل حالات طيش أو جهل أو إهمال .

ب ـ حالات إجرامية يرتبط فيها المجرم بغيره ارتباطا عاطفيا أو يكن له حبا وولاء، ويدفع ذلك الارتباط العاطفى إلى ارتكاب الجريمة من أجل إظهار الارتباط به وحبه.

جـ ـ حالات إجرامية يؤدى فيها دافع المحافظة على النفس إلى الجريمة، كما فى حالات جرائم العوز الاقتصادى والجرائم الناجمة عن الخوف من العقاب أو الفضيحة أو العار.

د ـ حالات الجرائم الجنسية .

هـ ـ حالات الجرائم الانفعالية، كجرائم الانتقام أو الغيرة أو الكراهية، أو جرائم نتيجة التعرض إلى الإهانة أو الغضب أو الحسد.

و ـ حالات إجرامية دافعها الكسب السريع والجشع.

غير أن " ليست " أعاد النظر فى هذه القائمة مرة اخرى، ولخصها فى صنفين فقط من المجرمين، وهما:

1 ـ مجرم اللحظة : وهو يرتكب جرائمه فى لحظات معينة من حياته، وتكون جرائمه متفرقة متباعدة.

2ـ المجرم المزمن: وهو الذى يخرج عن القانون، وذلك عن ولع بالسلوك الإجرامى. لذلك تتكرر جرائمه وتتنوع .

كما قدم "ليست "تصنيفا ثالثا ، بموجبه صنف المجرمين كذلك إلى نوعين أساسيين: الأول مجرم يمكن إصلاحه، والثانى مجرم يستعصى على الإصلاح والعلاج، بتصرف عن (عبد المجيد منصور، 1998، ص ص 67-68).

3. تصنيف " لينـد سميث ودنهام " Lund Smith & Dunham": صنف كل من "لند سـميث ودنهام " المجـرمين إلى فـئتـين بينهمـا فروق كبـيرة، وهمـا: فئـة المجرم الاجتماعى، وفئة المجرم الفردى ، كالآتى:

1ـ المجرم الاجتـماعى : يرتكب الجريمـة بمساعدة الجمـاعة التى ينتمى إليهـا ويعيش فى وسطها الاجـتماعى ، الذى تسـوده ثقافة الإجـرام (عصابات الإجـرام من المراهقين مثلا)، ومن ثم .. فـإن ما يقوم به من إجرام يزيد من مكانته الاجـتماعية فى جمـاعته غير الملتزمة بالنظام الاجتماعى للمجتمع ككل.

2ـ المجـرم الفـردى : وهو الذى يرتكب جـرائمـه بمفـرده، دون الحـاجـة إلى مـسـاعـدة الآخرين. كما أن الجرائم التى يرتكبها هذا الـنوع من المجرمين ليست صورا سلوكية محددة سلفا فى وسطه الثقافى كالمجرم الاجـتماعى . وبالتالى لا يهمه الحصول على مكانة واعتـراف أو شهرة فى عالمه الاجتـماعى من جراء ارتكابه للجريمـة؛ فارتكابه للجريـمة يكون عادة لأغـراض شخـصية أو خـاصة به أكـثر منها أغـراضا عـامة أو مرغـوبة اجتـماعيـا؛ مما يجعل من العـسير علـى غير المتـخصص أن يفـهم كيف أن الشخص المصاب بداء السرقة المرضية يرتكب أفعالا جانحة، وبالتالى فمن المستحيل فى أغلب الأحيـان أن تدخل فى مثل هذه الفئة من المجـرمين فى اعتبـار من يضعون الإطار القـانونى للمجـتمع. (أسـامـة أبو سريع فى زين العـابدين، 1993، ص ص 155-156)

4. تعليق على فكرة السلوكيات المضطربة (الجنوح)

اقتـصرنا فى عرضنا لأنظمة الـتصنيف على بعضهـا وأكثرها أهمـية وعلمية وشـهرة وخاصة التصنيفات السيكاترية منها؛كما عرضنا كذلك التصنيفات المنطلقة من مقاربات نظرية كـتصنيفـات علم النفس وعلم الاجـتماع، وأخـيرا التـصنيف التكاملى. وذلك لما لعلاقة هذه التصـنيفات بالسلوك الجانح وبالجريمة عـموما، وللكشف عن مكانة السلوك الجانح بين بقية الاضطرابات الشخصية الأخرى.

وعمومـا.. فإن الملاحظ على هذه التصنيفـات سواء كانت التصنيفـات السيكاترية أو

التصنيفات ذات المنابع النظرية، أنها متداخلة فيما بينها بالأخص(التصنيفات السيكاترية والتصنيفات النفسية من جهة والتصنيفات النفسية، وتصنيفات علم الاجتماع من جهة اخرى).

إلا أنها فى عمومها يظهر أنها تستعمل مصطلحات أحيانا كثيرة متباعدة عن بعضها البعض، رغم أن من أسباب تواجد هذه التصنيفات خلق لغة تخاطب بين علماء السلوك المضطرب، حتى يتم التواصل والتفاهم فيما بينهم.

غير أن التعديل المستمر الذى يتم فيما يخص الجانب السايكاترى (تطوير D.S.M وI.C.D) يعطينا أملاً أكثر فى التقرب أكثر من الموضوعية العلمية عن طريق الضبط والقياس الذى يتم فى الدراسات السيكاترية .

فى حين تحتاج التصنيفات النفسية وتصنيفات علماء الاجتماع إلى مزيد من الدراسات وتراكم علمى غزير فى المواضيع المختلفة وبالأخص فى ميدان الجنوح، الذى يحتاج أصلا إلى مقاربات مختلفة من جهة، وضبط وقياس أكثر، وتفتح هذه المعارف على بعضها (المعرفة السيكاترية والنفسية والاجتماعية)، حتى يسود بينهم لغة وطرائق مشتركة لظاهرة هى فى الأصل مشتركة بين هذه المعارف.

أما الانتقاد القائل بأن التصنيفات المختلفة للناس فى فئات مرضية، أو فئات شللية نوعية، أو غيرها، تبعا لخصائصهم .. هو عملية غير إنسانية، بل إنه نوع من الوسم الفردى الذى يضر بالفرد .

فهو قول قد يكون صحيحا نسبيا ذلك أن جعل الأفراد فى فئة واحدة رغم تفردهم وخصوصياتهم وتأثرهم المختلف بالمحيط، قد يخالف الحقائق العلمية التى تقول بعدم وجود صور طبق الأصل للأفراد، وإنما هناك تفرد وتنوع لا نهاية له بين الناس .

الشىء الذى يحتم إعادة النظر فى هذه العلوم وطرائقها ووسائلها التى تهتم بالإنسان عامة وبالسلوك الجانح خاصة.

5.الأوصاف المختلفة لشخصية الجانح حسب التصنيفات المختلفة(السابقة)

لاحظنا من خلال تتبع مسار التصنيفات المختلفة، سواء كانت سايكاترية والمتمثلة فى قوائم نظامى التشخيص (I.C.D أوD.S.M)، أو التصنيفات النفسية المختلفة أو

الاجتماعية ..استعمال مصطلحات مختلفة توصف بها شخصية الجانح، ومن هذه الأوصاف أو التسميات: الشخصية السيكوباتية، الشخصية السيوباتية، الشخصية المضادة للمجتمع، الشخصية المنحرفة، الشخصية الجانحة ..إلخ.

فما هذه التسميات وما الاختلاف فيما بينها ؟

ا ـ الشخصية السيكوباتية : استعملت هذه التسمية منذ اكثر من 200 سنة خلت، حيث وصف النفسانى الفرنسى " بنيل Penel " حالة غير معروفة فى ذلك الوقت لايمكن وصفها تحت أى فئة تشخيصية من الاضطرابات العقلية المعروفة آن ذاك ، وأطلق عليها " جنون تشويش Madness confusion"، وتمثل هذه الحالة مجموعة من المرضى لا يظهر عليهم أى اضطراب فى قدراتهم العقلية، ولكن سلوكهم يصل فى سوء توافقه إلى ما يصل إليه سلوك كثير من الأشخاص المضطربين عقليا، فهؤلاء المرضى ليسوا ذهانيين ولا عصابيين، كما أنهم ليسوا من نوع مرضى الاستجابات النفس جسمية على الإطلاق، وفى آن واحد يشتركون فى صفة واحدة هى أنهم يبدو عليهم اختلال الخلق (د/ محمد شحاته وآخرون، 1994، ص 235).

وقد تطورت بعد ذلك الدراسات فى هذا المجال، ووضع هؤلاء الأفراد على مر التاريخ فى عدة أصناف مختلفة ، مثل: النقص السيكوباتى التكوينى، الاختلال الخلقى، الضعف العقلى الخلقى، السسيوباتية ... كما أطلق عليها "كوش 1891 Koch " مصطلح الانحطاط السيكوباتى، ثم شاع بعد ذلك مصطلح الشخصية السيكوباتية كفئة سايكاترية خلال النصف الأول من القرن العشرين ،كما استعرض " بارتردج Partridge 1930 " ما كتب عن السيكوباتية وأبرز التعارض فى الأداء حول هذه الفئة؛ إذ أوجد هذه الفئة تظم أفراداً يتنوعون تنوعا كبيرا، ويدخل فيها فى كثير من الأحيان بعض من يعانون التخلف العقلى ومصابى العصاب، وذوى الذهان الكامن(World Health Organisation,1981,P31).

واستعمل " سينور Sinor " مصطلح "Asocial" لكى يشير إلى الجانح، وأن المخالفة بمعناه التربوى شىء أكثر من تجاوز القانون فى (Rosello vincent, 1952,p30).

كما اقترح " هاير Heuyer " مصطلح " ـ Antisocial " الذى به يصف مركبات العدوان. أما " لافاش Lavache " فقد اقترح مصطلح " " Pseudo-social ليؤكد فيه

التكيف الناقص، فى (Heuyer,1952 , p110)كما استعمل " الكسندر Alescander " مصطلح الشخصية "ذات الخلق العصابى " وهو وصف يستعمله المحللون النفسانيون، للإشارة إلى الشخصية السيكوباتية . وبذلك أصبح هذا المصطلح من لغة الطب النفسى، وعلم النفس الإكلينيكى، ثم استعملته فيما بعد الجمعية الأمريكية للطب النفسى كفئة تشخيصية (W.H.O ،1981,p51).

وقد عبر عنها فيما بعد الدليل التشخيصى والإحصائى للاضطرابات العقلية الأول 1952" D.S.M.1" بمصطلح "السيكوباتية " بدلا من الشخصية السيكوباتية، كما استعمل كذلك مصطلح الشخصية السسيوباتية؛ حيث وصف هؤلاء الأفراد بأنهم لا يلتزمون بقوانين المجتمع والبيئة الثقافية السائدة ، فى (عبد المجيد منصور، 1998، ص ص 75-76).

2 ـ الشخصية السسيوباتية : وهو عبارة عن فئة واسعة تضم نوعية مختلفة من الاضطرابات، تشمل الانحرافات الجنسية، وإدمان الكحول والمخدرات، بالإضافة إلى السلوك المضاد للمجتمع، والسلوك للاجتماعى، وهو أكثر اقترابًا من المفهوم التقليدى للشخصية السيكوباتية .

كما أطلق عليه " كروننجر Croninger 1987 " تسمية "السلوك المضاد للمجتمع" باعتباره يميز أولئك الأفراد الذين يعانون من متاعب دائمة، ولا يستفيدون من الخبرة، ولا يفيد معهم العقاب، ولا يشعرون بالولاء لأى فرد، أو جماعة، أو عرف، أو قيم، ويتصفون بالقسوة، وتبدو عليهم علامات عدم النضج الانفعالى، ونقص فى الإحساس بالمسؤولية واضطراب الحكم، كما لديهم قدرة فريدة على تبرير سلوكهم حتى يبدو معقولا ومقنعا.(Croninger. 1987,pp573-588).

غير أن إطلاق تسمية السسيوباتية تغير فيما بعد بتغير دليل التشخيص (D.S.M.II)، وأصبح يطلق عليه فيما بعد مصطلح " الشخصية المضادة للمجتمع " فى دليل التشخيص (D.S.M.III.R) ، وهى واحدة من عدة اضطرابات تصيب الشخصية؛ حيث يشير هذا الدليل الثالث المعاد إلى أن الشخصية المضادة للمجتمع تشخيص مخصص للأفراد غير المتطبعين اجتماعيا بشكل أساسى، والذين تؤدى بهم أنماطهم السلوكية إلى صراع مع المجتمع بشكل متكرر . كما أنهم عاجزون عن الانتماء الحقيقى للأفراد

والجماعات، أو القيم الاجتماعية، وهم أنانيون وغلاظ القلوب، ولا يتحملون المسؤولية، وعدوانيون، وعاجزون عن الشعور بالذنب، أو التعلم من الخبرة والعقاب، ولا يتحملون الإحباط، ويلقون اللوم على الآخرين، ويظهرون تبريرات مقبولة لسلوكهم (Croninger p573-58).

بينما ظهرت التسمية نفسها " الشخصية المضادة للمجتمع La Personnalité anti-social "، في المجموعة "ب B" من محور اضطرابات الشخصية في الدليل التشخيصي الأمريكي الرابع (D.S.M.IV) الصادر في سنة 1994 عن الجمعية الأمريكية للطب العقلي.

وعلى ذكر مصطلح اضطرابات الشخصية يتحتم التطرق إليه، ذلك أن مصطلح " الشخصية المضادة للمجتمع " يعتبر أحد الاضطرابات الذي يدخل تحت العنوان العام "لاضطرابات الشخصية " ؛ وحيث عرفه بالأخص الدليل التشخيصي الأمريكي الرابع بأنه " حالة دائمة من التصرفات والتجارب المعاشة التي تنحرف بصاحبها عن ما يمكن أداؤه في ثقافته، وتوصف هذه الحالة بأنها شاملة وثابتة وتظهر في المراهقة أو في بداية الرشد لتكون مصدر ألم، أو على شكل اضطراب في الوظائف " (Gielfi I.D,et al,1996,p739) وقد جمع الدليل التشخيصي الرابع اضطرابات الشخصية في 10 اضطرابات فرعية كالتالي:

1. **اضطراب الشخصية الذهانية** Oiaques وتمتاز بحذر اتجاه الآخرين ...
2. **اضطراب الشخصية شبه الفصامية** Schizoid وتمتاز بعد ربط العلاقات الاجتماعية...
3. **"نمط" الفصامي** Schizotypique وتمتاز بنقص في المعارف ؛خاصة اتجاه الأقارب، مع انحراف معرفي إدراكي وتصرفات أنانية....
4. **اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع** Antisocial وتمتاز بكراهية وتجاوز حقوق الآخرين ...
5. **اضطراب الشخصية الهستيرية** Histrionique وتمتاز باستجابات انفعالية متتالية، وانتباه حاد....

6. **اضطراب الشخصية النرجسية** Narcissique وتمتاز بالاحتياج الجارف إلى أن تكون موضوع حب، مع إظهارها لنقص فى مودة الآخرين....

7. **اضطراب الشخصية الحدية** Boardline وتمتاز بقلة الدافعية الظاهرة، مع عدم استقرار فى تصور الذات والعلاقات ...

8. **اضطراب الشخصية الانسحابية** Evitante وتمتاز بنقص فى الدافعية الاجتماعية، وبالشعور بعدم القدرة على بلوغ النجاح، وحساسية عالية نحو النقد السلبى من الآخرين....

9. **اضطراب الشخصية الاعتمادية** Dépendante وتمتاز بسلوك تبعى يرجع إلى الحاجة إلى التكفل...

10- **اضطراب الشخصية الوسواسى القهرى** compulsive - Obsessionnelle وتمتاز باهتمامها بالنظام والإنجاز العالى، والمراقبة ....

11. **اضطرابات الشخصية غير المحددة** Le trouble de personnalité non spécifier :

وهى فئة مهيأة لكى تشمل نوعين من الوضعيات :

1ـ نوع من الشخصية الذى تتوافر فيه الصفات العامة لاضطرابات الشخصية، وبعض الصفات الأخرى من الاضطرابات التى تختلف عن اضطرابات الشخصية المعروفة.

2ـ نوع من الشخصية تتوفر به الصفات العامة لاضطراب الشخصية ما عدا الاضطرابات الأساسية . ولا تتوافر معاييره، ولا يوجد فى هذا الدليل، مثل (الشخصية السلبية /العدوانية)." (Gielfi I D, et al,1996.p739).

وضمن اضطرابات الشخصية عرف (D.S.M.VI) الشخصية المضادة للمجتمع كالتالى:

"**حالة عامة** Mode général **من الكراهية واعتداء على حق الآخرين. ويظهر ذلك ابتداء من العمر ١٥ سنة، ويجب أن يتمظهر على الأقل فى ثلاثة مظاهر من الحالات التالية:**

أ ـ 1 ـ عدم المقدرة على مسايرة المعايير الاجتماعية التى تضبط السلوك الشرعى، كما يظهر تكرار هذا السلوك.

2 ـ اتجاه نحو مغالطة الآخرين من أجل المصلحة الشخصية، أو جلب المتعة، مستعملا فى ذلك الأكاذيب المتكررة، والتسميات المستعارة، والنصب، والاحتيال.

3ـ عدم المقدرة ،أو عدم الدافعية للتخطيط الذاتى .

4 ـ حساسية أو عدوانية تظهرها المشاجرات، والاعتداءات المتكررة على الآخرين.

5 ـ استهانة واضحة بالسلامة الذاتية، وسلامة الآخرين.

6 ـ عدم تحمل المسئولية الواضح الذى يظهر على شكل عدم المقدرة على أداء وظيفة ثابتة، أو تسديد التزامات مالية.

7 ـ غياب التأنيب الذاتى الذى يظهر عادة على شكل عدم اهتمام أو استعمال مبالغ فيه للتبريرات.

ب ـ لايمكن أن يتجاوز أو يساوى عمره ١٨ سنة.

جـ ـ يجب أن يظهر اضطراب فى تصرفاته قبل عمر ١٥ سنة.

د ـ لا يجب الأخذ بعين الاعتبار السلوكيات المضادة للمجتمع، التى يمكن أن تظهر بمناسبة تطور فصامى، أو نتيجة حلقة هوس" (Ibid. ,pp283-284).

إلا أن هناك عديداً من اضطرابات الشخصية الأخرى التى تتداخل مع اضطرابات الشخصية المضادة للمجتمع فى بعض الجوانب، وهذا ما أشار إليه كذلك الدليل التشخيصى الرابع، ومنها :

1ـ الشخصية غير الناضجة: وهو اضطراب فى الشخصية يتميز باستجابات نزوعية وانفعالية، توحى بوجود فشل أو تأخر فى الارتقاء السيكولوجى .

2ـ الشخصية السلبية ـ العدوانية : وهو اضطراب فى الشخصية يتميز بنمط من المشاعر العدوانية ، يعبر عنها صراحة بصورة مختلفة من السلبيات مثل العناد والتجهم والمماطلة أو السلوك غير الفعال.

3 ـ الشخصية المتسيبة : وهو اضطراب فى الشخصية يتميز بنقص الكلف والسيطرة

على الشهوات والرغبات والاندفاعات، ويتجلى ذلك فى الجانب الأخلاقى بوجه عام(Croninger ,et al,1988,PP494-505).

وعلى ذلك يتحتم قبل إطلاق التسمية على أحدهم، تحرى الحيطة العلمية وإلا سنسمه من " الوسم" بصفة تضر بمستقبل حياته . كذلك الملاحظ على هذه التسميات المختلفة (سيكوباتى، سسيوباتى، مضاد للمجتمع...إلخ)، التى أطلقت على الشخصية الجانحة، أنها تتفق إلى حد كبير فى عملية التشخيص، على أن الإصابة هى اضطراب فى الشخصية.. ولكن ليس بالاضطراب لا العصابى ولا الذهانى، وإنما عبارة عن علة خلقية قد تكون مؤقتة أو دائمة ، تؤدى إلى انتهاك معايير وقوانين المجتمع.

5-4. أوصاف أخرى

أما بالنسبة للتصنيفات النظرية (علم النفس، علم الاجتماع، الدراسات القانونية، دراسات علم الإجرام...الخ)، فقد أطلقت تسميات مختلفة على الشخصية المضادة للمجتمع، كمصطلح " الجنوح" بالنسبة لعلم النفس والدراسات القانونية، ومصطلح "الانحراف " بالنسبة كذلك لعلم النفس وعلم الاجتماع، ومصطلح " الشخصية المجرمة " التى يقول بها القانونيون وعلماء الإجرام . وطبعا كل علم استعمل المصطلح الخاص به من زاوية اهتمامه بالموضوع والوسائل المنهجية المستعملة فى البحث فيه، والمجال الذى يتم فيه السلوك الجانح...إلخ .

- **فعلم الاجتماع** يستعمل مصطلح " انحراف " ؛أى انحراف عن المعايير والقيم التى تحكم الجماعة التى يعيش فيها الجانح، ومن ثم فهو خروج عن الجماعة والضرر بها مما يلزم معاقبة المنحرف عن ذلك.
- **وعلم القانون** يستعمل مصطلح " الحدث الجانح " ويقصد به الميل والخروج عن القوانين فى سن محددة، فإذا تم ذلك تحتم تطبيق القانون واستعمال القوة الجبرية التى يسمح بها القانون فى مكان معين وزمن معين.
- أما **علم الإجرام** فيستعمل مصطلح " الشخصية المجرمة " ويبحث فى الخلفية التى تؤدى بأحدهم إلى القيام بالجريمة، وكيفية التقليل منها.

فى حين أن المجلب للانتباه وفى كل هذا، نجد أن **علم النفس** يستعمل معظم هذه المصطلحات للتعبير بها عن ظاهرة واحدة هى "ظاهرة الجنوح "، مما يجعله يسقط فى

عدم الضبط الجيد للمصطلح ؛ الشيء الذى ينجم عنه اضطراب فى التصورات وفى الإستراتيجيات وحتى فى المناهج المستعملة .

6.تحديد الصورة الإكلينيكية للشخصية الجانحة

بعد الاطلاع على مسار تطور تصنيف الشخصية الجانحة (الشخصية المضادة للمجتمع)، والأوصاف أو المصطلحات المختلفة التى أطلقت عليها. وهذا يصب نحو المزيد من تحديد وضبط أكثر للظاهر السيكولوجية، بما فيها ظاهرة الجنوح ؛ مما يعكس أن هناك ميلاً نحو مزيد من العيانية والإجرائية فى تعريف المصطلح، وهذا ظاهر بالأخص فيما يخص العلوم السيكاترية، وهذه هى طبيعة العلم ؛ الشيء الذى يلزم فى نظرنا علم النفس أن ينحى هذا المنحى التطورى .

هذا التطور فى الدراسات التى اهتمت بظاهرة الجنوح من خلال المعارف المختلفة . جعل بعض المهتمين (كليكلىCleckley 1976 ، كرافت Crafft 1966 ،رابين Rabin، ريتشارد .سوين Sewin R 1988، د/ عادل عبد الله محمد ...إلخ) ، يضعون صورة إكلينيكية أو بروفيل نفسياً للشخصية الجانحة .

6-1-الصورة الإكلينكية للجانح كما يراها "كليكلى Cleckley :

وضع "كليكلى Cleckley 1976 " ست عشرة خاصية اعتبرها أهم مكونات الشخصية المضادة للمجتمع (الجانح)، وهى:

- ذكاء متوسط أو مرتفع مع جاذبية مصطنعة.
- غياب الهذاءات والعلامات الأخرى الدالة على التفكير اللاعقلانى
- غياب القلق العصابى أو المظاهر العصبية الأخرى.
- عدم الثبات.
- عدم الصدق والإخلاص.
- غياب الضمير الخجول.
- سلوك مضاد للمجتمع.
- قدرة ضعيفة على التحكم وشك فى التعلم من الخبرة.

ـ تمركز مرضى حول الذات وعجز عن الحب.

ـ انخفاض عام فى معظم الاستجابات الوجدانية الرئيسية.

ـ فقد الاستبصار.

ـ انخفاض الاستجابة للعلاقات الشخصية العامة.

ـ سلوك نرجسى مع الانغماس فى الشراب وأحيانًا دونه .

ـ الفشل فى اتباع أى خطة لحياته، فى (أحمد عكاشة، 1989، ص 45).

6-2- صورة الإكلينكية للجانح كما يراها "كرافت" Crafft

فقد وضع " كرافت 1966 Crafft" ملمحين لتحديد ما أسماه بالشخصية السيكوباتية آن ذاك (الجانحة) :

الأول : وهو تبلد الوجدان، أو نضوب الحب، بمعنى آخر نقص فى مشاعر العطف والحب نحو الآخرين.

الثانى : الاندفاع فى السلوك دون تأمل أو روية، ومن هنا فهو يرى أن العدوان نتاج مركب من الخاصتين السابقتين فى(*Siegl ,et al, p46*).

6-2-4 لصورة الإكلينيكية كما يراها "د/عادل عبد الله محمد":

جعل " د/ عادل عبد الله محمد 2000 " شخصية الجانح أو كما سماها " الشخصية المضادة للمجتمع " أنها تتسم بعدم الامتثال للقوانين أو الأعراف والتقاليد، وعدم الالتزام بالاهتمامات الاجتماعية، والعنف والاستهتار، واللامبالاة، وعدم مراعاة حقوق الآخرين، والعدوان مع تقديم مبررات للسلوك تبدو مقبولة من وجهة نظر صاحبها، وعدم القدرة على تحمل الإحباط، وعدم الاستفادة من الخبرة والتجربة، وعدم جدوى العقاب معها، وعدم الشعور بالندم، وعدم القدرة على المثابرة. ... وعدم القدرة على الاستمرار فى عمل معين، إلى جانب الإدمان، والشذوذ الجنسى، وارتكاب بعض المخالفات والجنح أو الجرائم، والبحث عن المنفعة الذاتية فقط، وعدم التمسك بمبادئ أخلاقية أو اجتماعية (...د/ عادل عبد الله محمد، 2000، ص 358).

6-4 ،صور إكلينيكية أخرى للشخصية الجانحة

ـ جاء فى كتاب السيكوباتية 1964 لمؤلفه " ماكورد وماكورد Mc cord &Mc cord"

أنهما ينظران إلى الشخص السيكوباتى على أنه شخص مضاد للمجتمع شديد الاندفاعية، عدوانى، تحركه رغبات ونزعات غير قابلة للضبط أو السيطرة، لا يعانى من الشعور بالذنب، فاقد القدرة على الحب. فى(المرجع السابق نفسه ، ص 47).

- وفى السياق نفسه يذهب " ريتشارد سوين R Sewin1988 " حيث يصف السيكوباتى (الجانح)بأنه:

قليل النضج الانفعالى، انعدام روح المسؤولية لديه، مقدرته على إدراك الأمور ولكن من غير عمق، شعوره نحو الآخرين ضعيف إلى حد ملحوظ، قلة الدافع لديه إلى تنمية المواهب والمهارات، اعتقاده بأن لهم حصانة ومنعة من القوانين... (ريتشارد سوين، 1988، ص 438).

- أما المنظور النفس علاجى.. فإنه نظر إلى الشخصية الجانحة وعرفها على أنها اضطراب سلوكى مقترن بفعل من خلال تنظيم خاص بالشخصية، إنه مرض المراهقين الذين يمرون بطبعهم بتحولات تدعم الصراعات لديهم...(*Presine N .(,et al, 1993,p371*

إن اقتران السلوك بالفعل لدى الشخصية الجانحة ذو جذور دافعية داخلية، ويظهر ذلك على عدة أشكال:

- إما على شكل عنف ذاتى، بإرجاع فعل العنف على الشخص ذاته مثل محاولة الانتحار التى تمتاز بخطورة، أو الوصول إلى محاولة تشويه الجسم.

- أو على شكل عنف خارجى، على شكل سرقات، ومشاجرات، أو القيادة فى حالة سكر...إلخ، حيث يتحول العنف نحو الخارج ويطلق عليه عنف مضاد للمجتمع؛حيث ينفذ العنف فى حركات باردة دون أى خوف أو عاطفة وبأقل إثارة لأقل كبت أو حرمان من أى شىء ، حتى ولو كان تافهًا ؛ مما يؤدى إلى المرور مباشرة إلى الفعل(*Pierre Ferrari ,et al,1993,p32*).

إن ما يلاحظ عموما على تحديد الصورة الإكلينيكية لشخصية الجانح أن الأوصاف

التى جاء بها كل من (كليكلى، د/ عادل عبد الله محمد، كرافت، رابين، سوين وغيرهم)، تتشابه إلى حد كبير فيما بينها، من حيث الصفات العامة للشخصية الجانحة، كما تتشابه هذه الأوصاف بالصفات الإكلينيكية، التى حددها دليل التصنيف الرابع لسنة 1994. رغم اختلاف التسميات ما بين العلماء أنفسهم من جهة، وبينهم وبين دليل التصنيف الرابع للشخصية الجانحة أو السيكوباتية كما كان يطلق عليها سابقا، وللشخصية المضادة للمجتمع، كما أصبح يطلق عليها حاليًا.

كما يمكن جمع هذه الصور الإكلينيكية حسب عوامل بناء الشخصية، قصد الوصول إلى قراءة جديدة لشخصية الجانح، وعدم التوقف عند القراءة السيكاترية التى توسم الجانح بالشخصية المرضية كالتالى:

يعيش الجانح حسب الصور الإكلينيكية التى اطلعنا عليها ، والتى اعتمدت على عوامل بناء الشخصية، على أنه شخص:

- **مضطرب وجدانيا** : يعيش التناقض الوجدانى ونقص فى مشاعر الحب نحو الآخرين، مما يجعله يتميز بسلوكيات نرجسية تظهر اكثر فى تعاطى المخدر و/ أو الانغماس فى الكحول .
- **متأخر معرفيا** : يظهر أن ذكاءه متوسط، قليل الدافعية إلى تنمية المواهب، قليل التعلم من الخبرة السابقة، لا يدرك الأمور بعمق ، فاقد الاستبصار. مما يجعل ليس له خطة فى الحياة.
- **عاجز اجتماعيا**: ذلك أن ارتباطه بالآخرين ضعيف؛ لأنه عاجز عن أن يحب الآخرين.
- **ناقص أخلاقيا** : لقلة عدم كفاية الضمير، انعدام روح المسؤولية، الاعتقاد بأن له حصانة ومنعة من القوانين.

كل هذا ينعكس فى سلوكيات الجانح فتظهر على شكل إما :

- **ردود فعل ذاتية** : بإرجاع فعل العنف إلى الشخص ذاته، وتظهر الأفعال على شكل محاولة الانتحار، أو الوصول إلى محاولة تشويه الجسم، أو تعاطى المخدرات والمسكرات إلى حد التبعية.

ـ ردود فعل خارجية: بإرجاع فعل العنف إلى الخارج لتظهر على شكل سرقات، ومشاجرات، أو قيادة فى حالة سكر... إلخ، حيث يتحول العنف نحو الخارج، ويطلق عليه عنف مضاد للمجتمع.

وعلى الرغم من كل ذلك يشترك المراهق فى كثير من هذه الصور الإكلينيكية مع الجانح، الذى هو كذلك يمر بمرحلة مراهقة ؟ بمعنى ما الذى يجعل بعض المراهقين يمرون إلى فعل الجنوح، والبعض الآخر تمر مرحلة المراهقة لديه (رغم الاضطراب الذى يصيبه) دون السقوط فى الفعل الجانح ؟.. الشىء الذى يحتم علينا الاطلاع على فترة المراهقة وتفسيراتها والمتغيرات والاضطرابات التى تتحكم فيها .